مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الوزير جاك كور ودوره في تاريخ المملكة الفرنسية ما بين الاقتصاد والسياسة ١٤٠٠-١٤٥٦م

د. جمال فاروق السيد محمد الوكيل

أستاذ مساعد بقسم التاريخ

كلية الآداب– جامعة قناة السويس

DOI: 10.21608/QARTS.2022.167070.1527

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٥) أبريل ٢٠٢٢

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الوزير جاك كور ودوره في تاريخ المملكة الفرنسية ما بين الاقتصاد والسياسة ١٤٠٠-١٤٥٦م

الملخص:

يتناول البحث موضوع الدراسة شخصية جاك كور الذى عاصر أحداثا جارفة فى تاريخ وطنه مملكة فرنسا، حيث مرت فرنسا بفترة داكنة السواد لكونها مليئة بالهزائم، ألا وهي حرب المائة عام (١٣٣٧-١٤٥٣) والتي نتج عنها الإتيان على الأخضر واليابس، وإزهاق في أرواح العديد من البشر، ودخول المملكة الفرنسية في أزمات اقتصادية واجتماعية شديدة، وفي غضون المرحلة الأخيرة من حرب المائة عام ظهر على مسرح الأحداث جاك كور الثري الفرنسي والسياسي الذي تمتع بمواهب متعددة التى ساعدت على نقل بلاده من العصور الوسطى الى العصور الحديثة وأرجعت صدارتها للعالم الأوربة ثانية وقد حظى جاك كور بإعجاب كثير من المؤرخين حيث ساند الملك الفرنسي شارل السابع مالياً وساهم فى تمويل أربع فرق عسكرية على نفقته الخاصة لاستعادة الأراضي الفرنسية التي استولى عليها الإنجليز .وانطلاقا من هذا وقع اختيار الباحث على دراسة الدور الاقتصادى والسياسى لجاك كور .

الكلمات المفتاحية: جاك كور، شارل السابع البندقية ، السلطان المملوكى، حملة صليبية.

مرت فرنســـا بداية من العقد الرابع من القرن الرابع عشـــر الميلادي حتى عام ١٤٥٣م بفترة داكنة الســـواد لكونها مليئة بالهزائم، ألا وهي حرب المائة عام (١٣٣٧-١٤٥٣)[١] والتي نتج عنها الإتيان على الأخضر واليابس، وإزهاق في أرواح العديد من البشر، ودخول المملكة الفرنسية في أزمات اقتصادية واجتماعية شديدة، وفي غضون المرحلة الأخيرة من حرب المائة عام ظهر على مسرح الأحداث شخصيتان هامتان الأولى هي جان دارك **Jean Dark**[٢] البطلة الأســـطورية لحرب المائة عام،

(١) حرب المائة عام : هي سلسلة طويلة من الحروب بين انجلترا وفرنسا واستمرت ١١٦ عام (١٣٣٧-١٤٥٣م) حيث ساد العداء بين الطرفين منذ الفتح النورمانى لإنجلترا عام ١٠٦٦م، وفي تلك الحرب احتفظ ملوك انجلترا النورمان بأملاكهم في فرنسا وحاول الفرنسيون إزالة سيادة إنجلترا على غربي فرنسا فدارت الحرب بينهما ، بالإضافة الى التنافس الاقتصادي بين المملكتين وتعارض مصالحهما السياسية في أوروبا وقد مرت بثلاث مراحل الأولى (١٣٣٧-١٣٨٠م) تتميز بانتصار الإنجليز و المرحلة الثانية (١٣٨٠-١٤١٥م) تمتاز بطابع الهدوء والسلام، والمرحلة الثالثة والأخيرة (١٤١٥-١٤٥٣) وانتهت بطرد الانجليز نهائيا من فرنسا. لمزيد من التفاصيل انظر:

Chronicle of Froissart, Translated by Bourchier,J.& Berners,L.,with an introduction by Ker,W., London, 1902, pp.98-100.

راجع أيضاً : أسامة حسيب : تاريخ انجلترا وفرنسا الدور الأول من حرب المائة عام ١٣٣٧-١٣٨٠م، المكتب العربى للمعارف،٢٠٠٧م، ص ٨١-٨٢؛ فاطمة الشناوى: حملات الأمير الانجليزى الأسود على فرنسا (١٣٤٦-١٣٥٦م) ونتائجها، بحث منشور بمجلة بحوث كلية الاداب،جامعة المنوفية، العدد ٧٤، يوليو ٢٠٠٨م، ص ١٧٥.

(٢) جان دارك: فتاة قروية راعية الغنم ولدت عام ١٤١٢م في قرية دومرمي Domremy ظهرت في أوائل المرحلة الثالثة من الحرب، ولإثارة حماس الجنود الفرنسيين المهزومين، ادعت أنها سمعت أصواتاً من السماء حثتها على ترك أغنامها والتوجه إلى أورليان لقتال الإنجليز ثم تقوم بعد ذلك بتتويج شارل السابع ملكاً على فرنسا وسقطت أسيرة في أيدى البرجنديين حلفاء الإنجليز وأحرقوها في مدينة رووان ٣٠ مايو ١٤٣١م. انظر:

والشخصية الثانية تتمثل في جاك كور **Jacque Coeur** الثري الفرنسي والسياسي الذي تمتع بمواهب متعددة وساند الملك الفرنسي شارل السابع **Charl Vii** (١٤٢٢-١٤٦١م)[١] مالياً وساهم فى تمويل أربع فرق عسكرية على نفقته الخاصة لاستعادة الأراضي الفرنسية التي استولى عليها الإنجليز، ووصل وفائه مداه حين قال للملك شارل السابع ذات مرة "**كافة أموالى ملك لجلالتكم**"، وبفضل تلك المساندة تمكن الملك شارل السابع من استعادة نورمنديا **Normandy** وكانت فاتحة خير لاستعادة بقية الأراضي المغتصبة.[٢]

Guizot, M., the history of France from the earliest times to the year 1789,translated by, Black, R., London,1913, vol. 2, p.317; Warner, M., Joan of arc, the image of female heroism, university of California press,2000, pp. 13-15.

راجع أيضاً : أشرف عيسى: حرب المائة عام بين انجلترا وفرنسا ١٣٣٧-١٤٥٣م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٦ م، ص ١٦٦.

(١) شارل السابع: ولد في ٢٢ فبراير ١٤٠٣م بمدينة باريس وهو الابن الخامس لملك فرنسا شارل السادس توج فى مدينة ريمز فى السابع عشر من يوليو ١٤٢٢م، ولقب بالملك المنتصر، وعندما توفى الملك شارل السادس كانت فرنسا منقسمة الى ثلاثة أجزاء فدوق برجنديا فيليب الثالث (١٤١٩-١٤٦٧م) كان يتصرف كأنه ملك مستقل عن فرنسا ، أما شمال وغرب فرنسا كان تحت سيادة ملك انجلترا هنرى السادس (١٢١٦-١٢٧٢م) وكان عمره لا يتعد = عاماً واحداً، فى حين كان شارل السابع محصورا فى المقاطعات الواقعة جنوب نهر اللوار وقد أطلق عليه أعدائه لقب ملك بورجيه كاستهزاء به. لمزيد من التفاصيل انظر :

Chartier, J., & Godefroy, D., histoire de Charles vii roy de France,Paris,1661.p.3.CF also: Knecht, R., The Valois Kings of France 1328-1589, London 2020, pp.14-15.

(2)Thaumassiére, G., histoire de Berry, t. iii, Bourges,1689,p.6.CF also: Sumption, J., the hundred years war, London, 2009, vol. 3, pp. 65- 67; Green,D., the hundred years war a people's history, London,2014,p.245.

وبالنسبة إلى الدراسات السابقة التى تناولت بعض الجوانب فى حياة الوزير الفرنسى جاك كور فتتمثل فى دراسة بيير بيرتو **Pierre Prétou** عن وفاة أجنس سورل عشيقة الملك شارل السابع ومدى تورط جاك كور فى وفاتها.(١) وكذلك دراسة أنتونى توماس **Antoine Thomas** عن هروب جاك كور ووفاته.(٢) وهي كتابات تعد قليلة تتناول جوانب محددة فى حياة الوزير جاك كور.

وانطلاقا من هذا وقع اختيار الباحث على دراسة جاك كور التاجر والسياسى الفرنسى الذى عاصر أحداث جارفة فى تاريخ المملكة الفرنسية ، ونجح فى التقرب من الملك الفرنسى شارل السابع وبفضل جهوده على المستوى الاقتصادى والسياسى لعب دوراً فى نقل المملكة الفرنسية من العصور الوسطى الى العصور الحديثة وأرجعت لها صدارتها للعالم الأوروبي.

وتعتبر أسرة جاك كور من أقدم الأسر التى بلغت درجة كبيرة من الوجاهة والعلو فى بورجيه، فوالده بييركور **Pierre Coeur** رئيس طائفة بائعي الفراء كان من أكثر التجار ثراء وعمل فى تجارة الأقمشة والملابس وتنقل بين المدن المختلفة من أجل تنمية تجارته وصاحبه ابنه جاك كور فى معظم تنقلاته، كان في الخامسة عشر من عمره حين بدأت المرحلة الثالثة من حرب المائة عام ١٤١٥م. (٣)

(1)Pretou, P., les poisons de Jacques Coeur, in, *JMS*.,N.17, 2009, pp.121-140.

(2)Thomas, A., L'evasion et la Mort de Jaques Coeur, dans *RQH*., t. 98, Paris,1908, pp.1-15.

(3)Yeatts, T., Joan of arc heavenly warrior, London, 2009, p.13; Brun, dictionnaire illustre de L'histoire de France, p. 92; Beaucourt,dictionnaire encyclopedique visul,p.394.

وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ ميلاد جاك كور في مدينة بورجيه **Bourges** ، فذكر شـــارل لوبران **Charles le Brun** أنه ولد عام ١٣٩٥م[١] ، بينما أوردت ميشال بوكور **Michéle Beaucourt** أنه ولد بين عامى ١٣٩٥ و ١٤٠٠م.[٢] وحيث ان جاك كور بلغ الخامســة عشــر من عمره عند بداية المرحلة الثالثة من حرب المائة عام فنرى فى ضـــوء ذلك أن جاك كور ولد في عام ١٤٠٠م ، وليس بين عامى ١٣٩٥-١٤٠٠م.

وكان جاك كور متوســط الطول ذا شــعر كثيف، لديه ثلاثة من الأخوة وأخت واحدة، وقد تزوج فى عام ١٤١٨م من ماسـييه دو ليودوبار **Macée leodepart de** ابنة لامبرت ليودوبار **Lambart de léodpart** أحد الرجال المقربين للدوق حنا الأول **John I** دوق مدينة بيرى **Berry** والمقرب من الملك شـــارل الســـابع ووالدتها جان روسان **Jeanne Roussan** ابنة أحد أصـحاب المصـارف فى بورجيه وبزواجه هذا أتيحت له فرصـة التقرب من الملك شـارل السـابع الذي اتخذ مدينة بورجيه مقراً لإدارة مملكته.[٣]

أما عن فترة شـــبابه فلم يحظ بتعليم يذكر في طفولته إلا أنه كان مرتبطا بوالده وامتهن التجارة مثله وتدرب على يده ، واحتك آنذاك برجال المال والتجار فاكتســـب خبرتهم العملية وكان ينوب عن والده أحيانا فى رحلاته التجارية الأمر الذى ســـاعده على القيام برحلات عديدة الى المدن والأقطار المختلفة ، ومما زاد من نجاحه أنه كان يتمتع بالحكمة والذكاء الحاد، بالإضافة الى كونه ثاقب البصر والبصيرة فضلا عن حبة

(1)Dictionnaire illustré de l'histoire de France,Paris,1999,p.92.

(2)Dictionnaire encyclopèdique visul, Paris,1999,p.394.

(3)Bouvier,G.,Manuale Petri Amari Clerici Regis,Paris,1617,pp.426-p427. CF also: Black, B., France beyond the loire, Edinburgh,1885, p.420.

للمغامرة والمجازفة فى التجارة ولقد زودنا أحد معاصري جاك كور بوصف له ولبعض أنشطته جاء فيه " **إنه كان يتمتع بشخصية متفتحة فكان شديد المهارة في كل ما يتعلق بأي شيء يسند إليه وفي كل موضع وضع فيه**".(١)

وقد أدار في بداية شبابه إحدى شركات الصرافة المنتشرة في ربوع مدينة بورجيه وفي عام ١٤٢٧م شارك جاك كور أحد محترفي أعمال الصرافة ويدعي بييرجودار **pierre Godar** ، واستأجر داراً لسك العملة في بورجيه وسك عملة تحمل اسم رافو لو دانوا **Ravaut le Danois** وهو اسم صاحب تلك العملة. وبعد مضى عامين ١٤٢٩م تم توجيه الاتهام إلى جاك كور وآخرين بأنهم زيفوا في وزن ثلاثمائة مارك من الفضة فأصبح وزنها أقل من الوزن الصحيح وبالتالي استفاد من هذا التزييف ما بين مائة وعشرة إلى مائة وأربعين إيكو.(٢)

وبمناسبة رفع الحصار الإنجليزى عن مدينة أورليان، قدم رافو لو دانوا في السادس من ديسمبر عام ١٤٢٩م إلتماساً الى الملك شارل السابع ليعفو عن المتهمين بارتكاب هذا الحدث فوافق على طلبه بعد دفع غرامة قدرها الف ايكو، أما جاك كور تم العفو عنه بعد دفع غرامة قليلة بينما البقية الباقية من المتهمين تم إرسال بعضهم ليلقي

(1)Gaguin, R., recuile des champs historiques du quinzieme siècle,ed le Roux de lincy, Paris, 1670, p. 345.CF. also: Duruy,V., history of France, translated by, Carey, Newyork,1889, p.249.

(2)Recuile de documents Relatifs a l'histoire des Monnaies frapèes par les roi de France, èd par F.D Saulcy, Paris, 1879, PP. 70-71. CF. also: Dress, C., The late medieval age of crisis and renewal 1300-1500. abiographical dictionary, London, 2001, p.110.

بهم في حفرة عميقة أما الباقي منهم تم نقلهم على متن أحد الشواني ليزج بهم في البحر ويلقوا حتفهم غرقاً عقاباً لما ارتكبوه من جريمة.(١)

وثمة سـؤال يطرح نفسـه لماذا تم العفو عن جاك كور بمفرده بينما تم عقاب الاخرين ؟ ونرى أن ذلك يرجع الى لامبرت ليودوبار والد زوجته الذى طلب من الدوق حنا الأول دوق مدينة بيرى التوسط لدى الملك شارل السابع للعفو عنه، بالاضافة الى أن السيدة جان روسان والدة زوجته كانت ابنة أحد رجال الصرافة والمال فى المملكة الفرنسية فيحتمل انه تدخل بنفوذه المالى للافراج عنه ويحتمل أيضا أن الملك شارل السابع كان مدركا لمدى ذكاء ومهارة جاك كور فى الناحية المالية فأراد الاستفادة منه وهم فعلا ماحدث بعد ذلك ، كيفما كان الأمر أدرك جاك كور بثاقب بصره مدى فظاعة الجرم الذى ارتكبه وأنه لابد من الآن فصاعدا من محوه لذا سار حكيماً فيما بعد في تصرفاته حتى لا يغضب منه الملك شارل السابع الذي عفا عنه وبالتالي كان يحسب لكل خطوة يقدم عليها ألف حساب الأمر الذى سيساعده على النجاح بعد ذلك في تحقيق مايريد.

(1)Guilot, R., le Procés de Jacques Cour (1451-1457), Bourges,1974, pp.793-794.

الجدير بالذكر أن غش العملة بمملكة فرنسا فى العصور الوسطى تعتبر من الخيانة العظمى وفرضت عقوبات مشددة بحق من يرتكب هذا الجرم تمثلت فى الإعدام ومصادرة أموال المدان بهذه الجريمة. انظر:

Komornick, J., contra signum nostrum :the symbolism of lése majesté under Philip vi Valois, edited by, Classen,A.,in crime and punishment in the middle ages and early modern age,Germany,2012,p.194.

جهود جاك كور الاقتصادية:

كانت هذه الحادثة نقطة تحول جوهرية فى حياة جاك كور، ففى ذلك الوقت أراد الملك شـــارل الســـابع إيجاد موارد مالية لخوض غمار حرب اســـترداد الأراضـــي الخاضعة للسيادة الإنجليزية ، وإصلاح الدمارالذي كانت تعانى منه مملكته ولذلك حين فكر في إقامة نهضــة اقتصــادية ارتأى تكليف جاك كور بمسـئولية سـك العملة في كل من باريس وبورجيه، وكذلك تنمية مناجم الحديد والنحاس والفضـــة والذهب والرصـــاص والاستفادة منها فى الصناعة بعد نزعها من أمراء الإقطاع الذين بسطوا سيادتهم عليها بدون وجه حق فأصدر مرسوماً ملكياً في عام ١٤٣٥م نص على أن عشر ما يستخرج من كافة المناجم يؤول للملك الفرنسي.(١)

كما حرص الملك شـــارل الســـابع على زيادة الموارد المالية للخزانة الفرنســـية وتحصيل الضرائب بانتظام دقيق من أجل الاستعداد للحرب المرتقبة ضد الإنجليز. لذا عين جاك كور وزيراً للمالية عام ١٤٣٦م فأثبت جدارة في هذا المنصـــب ونجح في تحمل تلك المهمة لتعمير الخزانة الملكية الخالية من الأموال فبذل ما بوسـعه لتحصـيل الضـــرائب وأثبت مهارته وكفائته بعد أن نجح فى زيادة الموارد المالية من الضـــرائب. ونتيجة لذلك ســـمح له الملك شـــارل الســـابع بالإقامة في البلاط الملكي وتكريماً له ولمجهوده المشرف أصدر الملك شارل مرسوماً يقضى برفعه إلى مرتبة الإشراف وكذلك زوجته وأبنائه.(٢)

(1)Garrault, F., de mines d’argent trouvées en France ouvrage et police d’icelles, Paris,1579, p. 27. CF also: Gobet, N., les anciens minéralogistes du royaume de France avec des notes, Paris,1779, p.185.

(2)Raynal,L., Histoire de Berry depuis les temps les plus anciens,Bourges,1845,t.iii, P.60.CF also: Burckhardt,C., Richelieu and his age: assertion of bower and cold war, university of Wisconsin,1970,p.223.

ولم يكتف جاك كور بزيادة الحصيلة الضريبية فقط بل انفتح على الصناعة حتى احتل مركز الصدارة للعاملين فيها وأقدم على اتخاذ التدابير اللازمة لاعادة ازدهار صناعة الجوخ فى مدينة بورجيه الى مجدها التى كانت عليه قبل القرن الخامس عشر الميلادى حيث تفوق صانعو الجوخ والسجاد فى مدينة رووان **Rouen** على مواطنيهم فى بري وللوصول الى تلك الغاية ينبغى اعداد قوانين تطبق بصرامة، وبالفعل فى شهر يوليو ١٤٤٣ م كلف الملك شارل السابع بعض الشخصيات على رأسهم جاك كور ورئيس أساقفة فيينا بتحمل تلك المسئولية واعداد تشريعات جديدة فعالة لاعادة ازدهار تلك الصناعة الهامة لكونها عانت من الحرب والتي نتج عنها هجرة سكانها إلى مواضع أخرى أكثر أماناً، وتوجهت اللجنة المشكلة لحل تلك المشكلة في مدينة بورجيه والتقت بكبار صانعى الجوخ وتفحصت شكواهم المتمثلة فى كثرة القيود المفروضة عليهم وسنت قوانين تنظيمية لتلك السلعة التصديرية البالغة الأهمية وشديدة الطلب عليها لجودتها وظلت هذه القواعد سارية المفعول ونموذجاً لسن قوانين حتى القرن السابع عشر الميلادي. (١) ونرى أن حل تلك المشكلة على أكمل وجه تحسب لجاك كور وتوضح انتمائه لوطنه عامة ومسقط رأسه خاصة.

وقد حرص جاك كور على نهضة بلاده ودرس أحوال القصور فيها ومواطن ضعفها حسب قول المؤرخ المعاصر توماس باسين **Thomas Basin** الذى قارن بين التجارة الفرنسية قبل وبعد جاك كور قائلا " **أن التجارة الفرنسية منذ زمن طويل كان لايقدم أحد من الفرنسيين على ممارستها لأن الفرنسيين يعتمدون على سد احتياجتهم بجلبها واستيرادها عن طريق أمم أخرى الا وهى البندقية،جنوا ،فلورنسا**

(1)Raynal, L., Histoire de Berry depuis les temps les plus anciens,Bourges,1845,t.iii, P.60.CF also: Burckhardt, C., Richelieu and his age: assertion of bower and cold war, university of Wisconsin,1970,p.223.

وبرشـلونة وغيرها" ويبدى اعجابه بجاك كور قائلا "أن هذا الرجل الذى يتميز بالمهارة والحذاقة والحيوية والذكاء يعد أول فرنسـى عصره لكونه قرر اعداد سـفن وتسـليحها بأفضل الأسلحة لمواجهة قراصنة البحر الذين قاموا بالإعتداء على السفن التجارية و بعد أن تمكن من القضاء عليهم أصدر أوامره بانطلاقها نحو الاسكندرية. "[١]

ولم يكتف جاك كور بالصـناعة فقط بل وضـع نصـب عينية على الاهتمام بالتجارة، كما حرص على منافسة الجمهوريات الإيطالية المحتكرة لها. وقد تاجرت سفنة من دمياط إلى برشـلونة وفي رحلاته البحرية التجارية وعلى متن سـفينته الخاصـة تفقد مدن المشرق فزار الإسكندرية، دمياط ، القاهرة ، دمشق ، يافا ، بيروت ، وفاماجوستا، وحرص في كل زيارة لمدينة ما أن يجلب منها أفضـل السـلع كما انتهزفرصـة إقامة المعارض والأسـواق لإتمام مشـترياته وخصـص مينائي مرسـيليا ومونبلية لإبحار سـفنة منها في اتجاه الشـرق.[٢] ونخلص من البلدان التى زارها أنه ركز تركيزاً يكاد يكون كلياً على التجارة مع المشرق الإسلامي.

وقد اسـتهل جاك كور مشـاريعه التجارية بتأسـيس شـركة مع الشـقيقين برثوميه **Barthomié** وبيرجودار وظلت تلك الشركة قائمة إلى أن توفي أحد الشقيقين فى عام ١٤٣٩م، كما عزم على الانفراد بالتجارة مع المشـرق وسـحب البسـاط من تحت أقدام الجمهوريات الإيطالية. لذا قرر فى عام ١٤٣٢م التوجه إلى بلاد الشـام و مصـر و سجل برتدراندون دو لابروكير **Bertrandon de la Broquiér** فى رحلته انه التقى في بدمشق بجاك كور والجنوي جنتيل إمبريالي **Gentile imperiali** وهذا الأخير قد

(1)The history of Charles vii and Louise xi 1412-1490,translated by Spencer, M., London, 1997, P. 219.

(2)Favier, J.,histoire de France, le temps des principautés de l' an mil a 1515, Paris, 1984,P.450;Cunningham,W.,an essay on western civilization in its economic aspects medieval and modern times,Cambridge,2013,p.155.

كلفه السلطان المملوكي برسباى (١٤٢٢-١٤٣٧م/٨٢٥-٨٤١هـ) بشراء الرقيق الذين يشكلون القوة الضاربة العظمى لجيش مصر وبلاد الشام. (١)

فقد ذكر برتراندون فى كتابه " **عندما أتينا الى دمشـــق وجدنا بها عديد من التجار الفرنسيين والبنادقة والجنوية والفلورنسيين والكتلان وكان من بين التجار أحد التجار الفرنســـيين ويدعى جاك كور وهو يشـــغل وظيفة بالغة الأهمية اذ كان وزيرا للمالية وقد أخبرنا جاك أن الســفن الفرنســية اتجهت الى الاســكندرية وأنها يجب أن تعود الى بيروت وأن هؤلاء التجار الفرنســيين يرغبون فى شــراء ســلع غذائية ومواد أخرى كالتوابل وغيرها وستنقل مشترياتهم على متن السفن.**(٢)

ويؤخذ على برتراندون الاكتفاء بالتعميم دون التفصــيل حين ســجل أن واردات فرنســا من المشــرق تمثلت فى ســلع غذائية لم يذكرها ومواد أخرى كالتوابل ليس الا، وعلى الجانب الاخر جاءت كتابات المؤرخ بردوسيه أكثر تفصيلا وتوضح أن واردات فرنسا انحصرت فى الصوف، والأقمشة الحريرية، والسجاد وذلك قبل ظهور جاك كور لانه كان لديه مصــنع فى فلورنســا.(٣) وكانت البندقية وجنوة وقطالونيا وفلورنســا تقوم بمهمة جلب تلك الواردات فحل محلهم جاك كور الذى كلف الســـفن التى كانت تتولى

(1)Le voyage d' outremer au moyen âge, éd Schefer,CH.,dans Recueil de voyages et documents pour server a l' histoire de la géographie Paris,1829, p.68.CF also: Atiya, A., the aftermath of the crusades, edited by, Setton&Hazard, H., in a history of the crusades-the fourteenth and fifteenth centuries, vol.3, university Wisconsin press,1975, p. 649.

(2)Le voyage d' outremer au moyen âge, p. 68. CF also: Behrens, D., practicing diplomacy in the mamluk sultanate, London, 2014, p. 116.

(3)Pardessus, J., M., tableau du commerce anterieurement a la découverte de l'amérique servant d'introduction a la collection des lois maritimes,Paris,1840,p.xxi.

نقل الحجاج الى الأراضـــى المقدســة بأن يجلب معها فى رحلة العودة القطيفة والروائح العطرية والتوابل والسجاد.(١)

وكان من أهم نتائج تلك الرحلة الأولى إلى المشــرق الإســلامي أن درس جاك كور ما يمكن أن تصدره فرنسا إلى بلدان المشرق الإسلامي من سلع ألا وهي المنتجات المتنوعة وتشـــمل الذهب، والفضـــة، والأحجار الكريمة التى كانت تعد من ممنوعات التصـــدير من فرنســـا ومن يقدم على ذلك يعد قد ارتكب جرما بالغا لمخالفته القانون وبالتالى ينال عقوبة صارمة ، وكذلك كانت تصدر المعادن والمصنوعات وغيرها وكان أهمها لصناعة الأسلحة وكافة أنواع الأخشاب لصناعة السفن، والقصدير ،والرصاص، والحديد، والنحاس،والجوخ والأواني النحاسـية، والحديدية والرقيق وهم عماد وقوة سـلطنة المماليك الجراكســـة.(٢) ولكون معظمها ســـلعاً اســـتراتيجية كانت البابوية قد حظرت تصديرها إلى بلاد المشرق الإسلامي بعد سقوط الكيان الصليبى فى عكا عام ١٢٩١م من الحروب الصـــليبية إلا أنه أضـــحى زمن البابوية قد ولى وأدرك مفكرو الغرب الأوروبى آنذاك عدم جدوى الحروب الصليبية بل عارضوها وقتر حماس المشاركة فيها وفشلت كافة المشاريع التي أعدت لاسترداد الأراضي المقدسة.(٣)

---

(1)Mallet,A., & Isaac,J., L'histoire Rome et le moyen âge,753AV.J.C-1492, Paris, 1958, p. 239.

(2)Mallet et Isaac, L'histoire de Rome, p. 239.

(3)Pardessus, tableau du commerce anterieurement, pp. xliv-xlv.

الجدير بالذكر أن البابوية بعد سقوط الكيان الصليبى في عكا على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ٦٩٠هـ/١٢٩١م قررت اللجوء إلى أسلوب الحصار الاقتصادي وحظر تصدير البضائع الاستراتيجية إلى المشرق الإسلامي بداية من البابا نيقولا الرابع (١٢٨٨-١٢٩٢) الذى أصدر قرار حرمان منع تصدير الأسلحة والأخشاب والمؤن الحربية إلى سلطنة المماليك . وأعقب ذلك صدور قرارات حرمان أخرى من البابوات بونيفاس الثامن (١٢٩٤-١٣٠٣م)،البابا بندكت الحادى عشر (١٣٠٣-١٣٠٤م) ثم البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥-١٣١٤م) . ولمزيد من التفاصيل انظر: جمال

لم يقتصر نشاط جاك كور التجارى على دول المشرق بل تعداه إلى منافسة الجمهوريات الايطالية إذ شيد سفنا، وأعد طاقمها خير إعداد، وأبحرها إلى إفريقيا والشرق وكانت السفن التي شيدها قد حملها بالجوخ وبضائع أخرى تنتجها المملكة الفرنسية، وبوصول تلك السفن إلى فرنسا، كان بعضها يصعد ثانية في نهر الرون بينما البعض الآخر كان يمون كل من قطالونيا والمقاطعات المجاورة وبهذه الطريقة المنظمة نافست فرنسا عمليه الاتجار مع المواضع سالفة الذكر، وانفردت بالإتجار معها، وبالتالي سحبت البساط من تحت أقدام البنادقة والجنوية بعد أن كانا قد انفردا باستغلالها على خير ما يرام دون منافس لهما، وتخلص من الوسطاء الإيطاليين المسيطرين على تجارة الأصواف الأوربية وحرايرالشرق وتحقيقاً لتأمين ما تقدم عين جاك كور وكلاء تجاريين بدءاً من الإسكندرية إلى برشلونة(١)

هكذا نرى أن فرنسا عن طريق جاك كور أزاحت من الساحة الشرقية أعظم الجمهوريات التجارية الإيطالية وخاصة عدوتها اللدودة جمهورية البندقية وبالتالي جنت ثروات طائلة من هذا النجاح بالإضافة إلى ماجنته من ممارسة الصناعة والتعدين وسك النقود و ما تملكه جاك كور من مناجم الفضة والنحاس والرصاص.

مما تقدم نرى أن النشاط التجارى فى المملكة الفرنسية فى عهد جاك كور قد ازدهر واتسعت موارده وبلغت قمة نشاطها ومواردها المالية الهائلة حين نجح في منافسة الجمهوريات الإيطالية على وجه الخصوص والانفراد بسد حاجات بلاده عوضاً عنهم على الإتجار مع المشرق الإسلامي ، وكان في قمة نجاحه حين نجح فى أن يسمح له

الوكيل : تطور استراتيجية الحروب الصليبية فى القرن الرابع عشر الميلادى فى ضوء كتاب مارينو سانودو، القاهرة، ٢٠١٧م، ص٣٨-٤٠؛محمد الزامل: الحصار الاقتصادى على مصر أواخر العصور الوسطى (١٢٩١-١٥١٧م)،المجلس الأعلى للثقافة،٢٠٠٩م،ص٢٧-٢٨.

(1)Basin, T., The history of Charles vii and Louise xi,pp.222-223.

كل من البابا أيوجين الرابع (١٤٣١-١٤٤٧م) **Eugine IV** والبابا نيقولا الخامس(١٤٤٧-١٤٥٥م) **Nicholas V** بالإتجار مع المسلمين في كافة أنواع البضائع بما فيها الممنوعات التي كان قد صدر فيها مراسيم بابوية بمنعها وبالتالي صدر إلى سلطنة المماليك الجراكسة الحديد والأخشاب والرقيق وغيرها من السلع الاستراتيجية؛ بل و الأسلحة المستخدمة في المملكة الفرنسية آنذاك للدفاع عن أراضيها ومما زاد الطين بلة أن أوفد إلى السلطنة صناعا مهرة لكي يتولوا تدريب وتعليم المصريين على تصنيع هذه الأسلحة وذلك من أجل حفنة من الأموال.[١]

ولقد اتسعت تجارة المملكة الفرنسية عن طريق علاقة جاك كور مع الكثير من بلدان البحر المتوسط على وجه الخصوص،وبلدان المحيط الأطلنطي وبحر المانش على وجه العموم وصاحب ذلك كثرة وكلائه التجاريين إذا بلغوا آنذاك ثلاثمائة. وبذكائه أحسن اختيارهم لكونهم ممثليه في الخارج وأحد أسباب نجاحه ، كما أن سفنه التجارية

---

(1)Guilot, Proces de Jacques Coeur, p.708.CF also: Drees, C., The late medieval age of crisis and renewal 1300-1500,London,2001, p.110;Reyerson,K.,the transitional role of Jacque Coeur in fifteenth century, edited by Bentey, J., in between the middle ages and modernity, New york, 2007, p.255

أوجين الرابع: ولد في البندقية وكان راعياً للعوم والفنون والآداب وتولى عرش البابوية ١٤٣١ م وتوفي عام ١٤٤٧م. انظر:

Mckilliam, M., A., a chronicle of the popes from St. Peter to Pius x ,London,1912,pp.384-385; Bouillet, M., dictionnaire universel d' histoire et de géographie,Paris,1871,p.632.=

=نيقولا الخامس: ولد فى ٣١ نوفمبر ١٣٩٧م فى مدينة سارزانا Sarzana الواقعة فى مدينة جنوة الإيطالية تحت اسم توماسو بارينتوتشيلى Tomasso Parentucelli تولى أسقفية بولونيا عام ١٤٤٤م ،واعتلى الكرسى البابوى بعد وفاة البابا أوجين الرابع. انظر:

Mckilliam.,a chronicle of the popes,pp.384-385.

كثرت إلى أن بلغت عشـرين سـفينة وحرص على تزويدها بحاميه عسـكرية لمواجهة قراصـنة البحر وبالتالى كانت سـفنه تجوب البحار فى أمن وأمان كل هذا حفاظاً على تجارته ، كما كان يملك مناجم الفضـة والنحاس والرصـاص الواقعة في مقاطعة الليونيز **Lyonnaise** وحظيت بعنايته فأصبح رائداً في صناعة التعدين في أوروبا. (١)

ومما يبعث على الدهشـة أنه جاك كور قد وسـع نشـاطه خارج حدود وطنه ومد يده إلى إيطاليا إذ اشتهر أنه من بين رجال الصناعة في فلورنسا و كان يملك سفناً في تلك المدينة التجارية وكما كان مختصاً بشحن وتفريغ وامداد تلك السفن ولسد احتياجات البلاط الفرنسـي وكبار القوم آنذاك اعتاد على جلبها من الأسـواق الكبرى المقامة في بلدان حوض البحر المتوسـط وتخصـص في بيع المجوهرات الفاخرة والأحجار الكريمة التي كان يجلبها من إيطاليا، والأهم من ذلك جعل نفسه مصرفا للملك الفرنسى وكبار قومه فكان يقرضهم الأموال بلا فوائد ربوية. (٢)

ولزيادة موارد تجارته الخارجية كان يبيع بعض من البضـائع التي تنتجها فرنسا فقد أورد في وثيقة رسمية أنه في أثناء الهدنة المبرمة مع انجلترا في الفترة ما بين عامي ١٤٤٤ و ١٤٤٨ م أرسل وليام دو فاري **Guillaum de varye** مع أحد الأشخاص رسـالة يذكر فيها "أن جاك كور في حاجة لبضـعة أمتار من الجوخ المذهب وبضـائع أخرى يبيعها في إنجلترا".(٣) ومنذ هذه الفترة سـالفة الذكر لم تقم فرنسـا علاقات ذات

(1)Reyerson,K.,the transitional role of Jacques Coeur,pp.255-256.

الليونيز : تتعدى حدود نهر اللوار جنوباً ونهر السين شمالاً انظر:

Dictionnaire Robert, Paris, 1993, t.iii, p.1109.

(2)Favier, le temps des principautés, P.449.

(3)Vallet de Viriville, Lettres de rémission en Faveur d'etienne de Manné qui avait donne avendre en Angleterre une piéce de fourrure, dépossée chez Jacques Coeur la quelle appartnu â Agnes Sorel, ed ,dans Bibliotheuqe de l'ecole de chartes, Paris,1850, t.11, p.309

أهمية تذكر مع المشرق إلا أنه بفضل جاك كور بدأت فرنسا في منافسة شرسة مع المستحوذين والمحتكرين لتلك التجارة ذات الأهمية البالغة ألا وهم الجنوية والبنادقة والقطلان وبالفعل نجح التجار الفرنسيون في الاستحواذ على جزء من الأرباح التي كانت تدرها هذه التجارة. (١) ونتيجة للنجاحات التي كان يحققها جاك كور وإتقانه كافة المهام المسندة إليه قرر الملك شارل السابع في يونيو ١٤٤٤م أن يكلفه باعادة بناء برلماناً جديداً في مقاطعة اللانجدوك **Languedoc** الواقعة جنوب غرب فرنسا وعاصمتها تولوز، وشاركه إنجاز هذا البرلمان كل من بيير دي مولان **Pierre du Molan** رئيس أساقفة تولوز وجان ديتمب **Jean d' Etampes** أسقف كاركسون.(٢)

ومما يذكر أن جاك كور انتهز التقدير الذي حظى به عند شارل السابع ليحصل على موافقته على إرسال سفارة محملة بهدايا عديدة إلى سلطان مصر الظاهر جقمق (٨٣٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م)، ومن ناحية أخرى حظى بموافقة على أن يتولى جان دوفيلاج **Jean de Village** رئاسة هذه السفارة، هذا وقد انفرد المؤرخ المعاصر مثيودوكوسي بتسجيل نص الرسالة العامة التى أرسلها السلطان الظاهر جقمق الى الملك شارل السابع مع جان دى فيلاج وهى مدونة باللغة العربية ومؤرخة تحت أحداث عام ١٤٤٧م وربما يكون قد ترجمها من العربية إلى الفرنسية أحد المماليك الذين يتقنون الفرنسية وجاء فيها : "**مثل أمامنا سفيركم، الرجل النبيل الخلوق المدعو "جان فيلاج" جان دو فيلاج سلمني رسالتكم وهداياكم التي حملها إلينا ، وسألني الموافقة على طلبكم الوارد في هذه الرسالة القاضي بأن : أنعم عليكم باتفاقية سلام لتأمين تجارتكم، أسجل فيها السماح لتجاركم بالإتجار في كافة ربوع مدن بلادنا ، وقد**

(1)Vallet de Virville, Letres de rémission, pp.309-310.

(2)Vaissette,D.,&Devic,D., Histoire génerale du Languedoc,Toulouse,1876, t.v,p.3.

أخبرته بتنفيذ مطلبكم من كافة كبار أمراء بلادنا وعلى وجه الخصـــوص من هم في الإسكندرية ، وأوصيتهم أيضاً بأن يحسنوا التعامل مع تجاركم فيسمحوا لهم بالإقامة والتنقل بحرية تامة وأن يستقبلوهم بترحاب ويكرموهم أما سفيركم فسيحظى باستقبال حافل هو أيضـاً من كبار أمرائنا ورجالنا، كما أصـدرنا أوامر بحسـن معاملة حجاج بلادكم المتوجهين للحج إلى الأراضـي المقدسـة سـواء إلى بيت المقدس أو إلى دير سانت كاترين.واستقبلنا سفيركم خير استقبال حين وصوله إلى القصر السلطاني وسـأهديه خلعة جميلة كتلك التي أرتديها تكريماً لكم ، وسـأحمل سـفيركم هذا هدايا أخرى وأهما البلسم الذى تنتجة شجرة مقدسة [١] كذلك سأهديكم فهداً جميلاً وثلاثة أواني من الصيني من سيناء وطبقين من الصيني أيضاً باقة زهر وحوض لغسيل الأيدي ونملية لحفظ الطعام، ونبات الزنجبيل الأخضـر تحتوي على نواة اللوز وكمية قليلة من الفلفل الأخضـر، ولوز وخمسـة وعشـرين كيلو جراماً من البلسـم الرفيع وقنطاراً من السكر الناعم ، وأخيراً حفظكم الله ، شارل ملك فرنسا.[٢]

(1)Matthieu de Coucy, histoire de Charles vii,Paris,1675, p.629.

راجع أيضا: رشيدة بسرور: مركز تجارى فى مصر السفلى: الإسكندرية خلال العصر المملوكى، تونس مركز النشر الجامعى،٢٠٠٧م، ص٢٣٤.

السلطان الظاهر جقمق: هو أبو سعيد جقمق بن عبد الله العلائى الظاهري .جاء الى مصر فى الفترة الثانية من عهد السلطان برقوق برفقة الخواجا كزلك من بلاد الجركس واشتراه أمير على ابن الأتابك أينال وكان خاصكيا فى بلاط السلطان برقوق ثم ساقيا فى سلطنة الناصر فرج ثم تدرج فى المناصب فى عهد السلطان ططر ثم الأشرف برسباى وبعد وفاته وتولى العزيز ابن برسباي الحكم وضعفه فتولى السلطان جقمق الحكم بدلا منه فى التاسع عشر من ربيع الأول ٨٤٢هـ/١٤٣٨م.انظر:ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد أمين ، القاهرة،١٩٨٤م، ج٤،ص٢٧٥؛بدر الدين العيني: سيرة السلطان الظاهر جقمق، نشر وقد لها وعلق عليها محمد جمال الشوربجي، نور حوران للدراسات والنشر،٢٠٢١م، ص٢١-٢٢.

(2)Matthieu de Coucy, histoire de Charles vii, p.963.

وبتحليل هذه الرســـالة نرى ذكر كلمة نواة اللوز والمعروف أن النواة هى الجزء الحي القابل للتكاثر في الخلية، وبالتالي أراد السلطان جقمق إهداء الملك الفرنسي شارل السابع الجزء الحي المتكاثر لشجرة اللوز. ونستخلص من ذلك أن فرنسا آنذاك لم تزرع شــجرة اللوز ولم تعرفها من قبل ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن الرســالة ورد فيها بعد ذلك مباشــرة ذكر الفلفل الأخضــر وبعدها مباشــرة كلمة اللوز ثانية دون كلمة نواة، أي حبة اللوز التي تؤكل وهذا يعد أحد نتائج احتكاك الحضارتين المصرية والفرنسية في العصر الوسيط. كما لا يفوتنا ذكر أن هذا الأثر الحضاري يعود إلى جاك كور ووكيله جان دو فيلاج وقد نتج عنه فيما بعد استيراد نواة شجرة اللوز من مصر وكذلك كان جقمق ذكياً إذ أراد إظهار تنوع ثروات مصر وتفوقها على فرنسا وحضارتها.

وفيما يتعلق بشــجرة البلســم المقدســة [١] فقد جذبت هذه الشــجرة معظم أنظار الرحالة المسيحيين الذين زاروا مصر في العصر الوسيط وترجع قدسيتها إلى أنها تتعلق برحالة العائلة المقدسة إلى مصر إذ استراحت السيدة مريم أسفل أشجار البلسم. وكانت حدائق أشــجار البلسم آنذاك الأكثر في المطرية، وكان البلسم المصــري في عداد أجود أنواع البلسم لكونه يفوق بلسم كل من اليمن والهند وترجع أهميته الطبية بسبب استخدامه لتطهير الجروح بفاعلية فائقة، كما أنه يسكن الجرح فهو يعد ثلاجة العصــورالوسطي إذ يستخدم لحفظ اللحوم والدواجن والأسماك من العفن الذي يصيب اليد بدعك الجرح به، وفي حالة وضع نقطة بلسم صغيرة في إناء صغير به ماء تنزل هذه النقطة في أعماقه

(١) البلسم: شجرة عطرها الرائحة تشبه شجرتي الحناء والرومان فى الشكل صغيرتان وشجرته من الفصيلة البلسمية المنتشرة فى جميع أنحاء العالم، ولا يزرع البلسم بذرا وإنما تأخذ منه فسائل تحتوى على عقل جيدة تعرف باسم القضبان أو الأوتاد لمزيد من التفاصيل انظر: محمد الدسوقى :نبات البلسم فى مصر والشام عصر الحروب الصليبية(١٠٩٥-١٢٩١م)، بحث منشور فى مجلة كلية الآداب، جامعة دمنهور العدد ٤٢ ،يناير ٢٠١٤م،ص٥٥-٥٦.

، ويتم استخراجها بدبوس ويبدو أن هذا هو الذي ورد في الرسالة سالفة الذكر باسم "البلسم الرفيع". [١] ونرى أن سبب ذكر البلسم الأول والبلسم الثاني الرفيع هو وجود نوعان من البلسم وأن البلسم الرفيع هو الأثمن.

وكيفما كان الأمر، بعد طي صفحة هذه السفارة ، كان لابد من تقييم نتائجها فمما لا يدع مجالاً للشك، فإن هذه السفارة حققت نجاحاً باهراً أي نجاح الدبلوماسية الفرنسية في توثيق علاقاتها مع قوة جديدة عظمى انذاك ألا وهي سلطنة المماليك الجراكسة وقد اتضح ذلك من الترحيب البالغ الذي عومل به سفير فرنسا ووكيل جاك كور جان دو فيلاج، والذي بدوره حظى بكافة الامتيازات والتسهيلات التجارية الممنوحة لكافة بلدان الجمهوريات الإيطالية على وجه الخصوص والمتعلقة بالتبادل التجاري مع السلطنة. وبالتالي، كانت تلك المنافسة لصالح فرنسا. ونرى أن السلطان جقمق استفاد بدوره من ظهور أسطول تجاري فرنسي جديد بدأ يمخر عباب البحر المتوسط فتشجيعه من قبل سلطنة المماليك الجراكسة سيضعف احتكار الجمهورية الإيطالية لتجارة البحر المتوسط وبالتالي سيكون ذلك لصالحه.

هذا وبعد أن تلقى الملك الفرنسي هدايا السلطان كان من الطبيعي أن يبعث إليه بهدايا منتقاه لا مثيل لها في سلطنة المماليك الجراكسة آنذاك حتى يبهره بالحضارة الفرنسية آنذاك وكان من الطبيعي أن يسند تلك المهمة إلى جاك كور الذي نجح في تسهيل الاتجار مع المشرق الإسلامي وخاصة مصر والشام، وقد سجل المؤرخ المعاصر مثيو دى كوسي تفاصيل هدايا الملك الفرنسي شارل السابع إلى السلطان جقمق والتي حملتها إحدى سفن جاك كور وكانت هذه الهدايا عبارة عن بعض الأسلحة وهى زرد صغير، قوس قديم مصنوع من الصلب لقذف السهام اى قذافة لقذف السهام

(١) محمد دسوقى: نبات البلسم ،ص ٦٤.

والكرات الحديدية والحجارة وغيرها ،ستة بلطات طويلة المقبض مزودة بقوسين معقوفين وعدد ستة ناصب الشراك مع جعبة.(١)

ونتيجة لنجاح سفارة جاك كور المرسلة برئاسة وكيله جان دى فيلاج أن ثار ضده الحقد والضغينة فكانت ضريبة النجاح هذه المرة أن مستشارى الملك الفرنسى أخبروه أن جاك كور بهداياه قد زود الأعداء بأسلحة لم يسمعوا عنها وسيضعوها وسيوجهها المسلمون الى صدرونا فيما بعد، ورد جاك كور على هذا بأنه حصل من البابا نيقولا الخامس على موافقته على هذه الهدايا كذلك حال الملك شارل السابع الذى حظى بموافقته على هذه الهدايا ثم أظهر حقيقة السبب الأساسى الذى دفعه لذلك قائلا: "**إن الجنوية رغبوا فى إعطاء السلطان المملوكى أموالا طائلة حتى يمنع تزويد الفرنسيين بالبهارات**".(٢)

جهود جاك كور السياسية:

وجدير بالذكر، لم يقتصر دور جاك كور على الناحية الاقتصادية فقط بل وجهه جهوده أيضا إلى الجانب السياسى وظهر ذلك جليا فى محاولة ضم جنوة الى مملكة فرنسا فقد عانت جنوة منذ عام١٤٤٤م، ولمدة طويلة من حروب ضارية بين حزبيين متحكمين في حكمها، ألا وهما حزب آل أدورنو **Adorno** من جانب وحزب الكمبوفريجوسو **Campofregoso** من جانب آخر،فضلا عن كل من يحاول الانفراد ببسط سيادته على جنوة وعندما خشى أل كمبوفريجوسو من إمكانية حزب أدورنو الانفراد بالسيادة على جنوة ، لجأ زعيمهم ويدعي جانوس **Janos** إلى الملك شارل

(1)Matthieu de Coucy, histoire de Charles vii,p.700.

(2)Matthieu de Coucy, histoire de Charles vii, pp.701-703; Juiolot.,le process de Jacque Coeur, pp. 87-88.

السابع طالباً منه مساعدته عسكرياً في حربه ضد حزب أدرنو لإلحاق الهزيمة بهم والانفراد بحكم جنوة، وأبرما عام ١٤٤٦م اتفاقية تنص على أنه بعد إلحاق الهزيمة بآل أدرنو ستصبح جنوة تحت سيادة ملك فرنسا شارل السابع.(١)

وفي عام١٤٤٦م استدعى الملك شارل السابع مستشاره ووزير ماليته جاك كور وعينه قائداً للأسطول الفرنسي المسلح، واصطحب معه رئيس أساقفة ريمز سان فالييه **San Vallier** وتاننوجي ديشاتل **Tanneguy Duchatel** حاكم باريس وذلك للتوجه إلى جنوة وإتمام ضمها إلى مملكة فرنسا، وبفضل المساعدات الفعالة التي قدمها الجيش الفرنسي بقيادة جاك كور لحليفة الجنوى كمبوفريجوسو تم الاستيلاء على مدينة جنوة . وانتظر القائد الفرنسي جاك كور ضمها إلى مملكة فرنسا إلا أن الرياح أتت بما لا تشتهي السفن ، إذ نكث القائد جانوس وعده وأعلن على الملأ قائلاً: "

لقد غزونا المدينة أي جنوة بالسيف ، وبالسيف وحدة ستحتفظ بها في مواجهة الجميع. (٢)

عقب هذا الفشل في ضم جنوة إلى مملكة فرنسا انسحب جاك كور وجيشه إلى مدينة نيس المواجهة لجنوة ؛ هادفين من ذلك إنذار حزب كمبوفريجوسو وتهديده بضرورة الالتزام بما تعهد به ، وعندما انتابهم اليأس من تنفيذ مطالبهما عادا ثانية إلى مرسيليا، ومنها إلى بورجيه ، حيث تواجد الملك شارل السابع . على أيه حال، لم يتطرق اليأس إلى قلب جاك كور بل ظل على علاقات مع جانوس دو كمبوفريجوسو

(1)Seyssel, C., histoire dv Roy loys dovziesme, pere dv pevple,Paris,1567,p.25. CF. also: Shaw, CH., the politics of exile in renaissance Italy, Cambridge university press,2000,p.14.

(2)Berry, J., Histoire Chronologique du roi Charles vii depuis 1423-1461,Paris,1617, pp. 429-430.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه وجود رسالة أرسلت إليه من جنوة مؤرخة في ٢٥ سبتمبر سنة ١٤٤٧ م رداً على رسالة أرسلها جاك كور إلى زعيم جنوة وقد حوت رسالة جاك تفاصيل عن الأحداث سالفة الذكر ورسالة جاك تؤكد دعوته لتسليم جنوة إلى فرنسا تنفيذاً للاتفاقية المبرمة سنة ١٤٤٤م ، هذا بينما تجنب كمبوفريجوسو تناول هذا الموضوع على الإطلاق وختم خطابه بأن طلب من جاك كور أن يكتب إليه بكثرة وبإطالة وبتفاصيل.(١)

ولم تكن جهود جاك كور الدبلوماسية مقتصرة على الغرب الأوروبي فقط بل لعب دورا محوريا فى العلاقات بين الشرق والغرب حينما نجح بدبلوماسيته فى اقرار الصلح والسلام بين جماعة فرسان الاسبتارية فى رودوس وسلطنة المماليك فى مصر الممثلة فى السلطان الظاهر جقمق في عام ١٤٤٦م . (٢)

وكانت جزيرة رودوس بالنسبة لجماعة فرسان الاسبتارية من أقوى الحصون فى شرق البحر المتوسط وظل الأمر هكذا أراد السلطان المملوكي الظاهر جقمق وضع حد لسيطرة الصليبيين على شرق البحر المتوسط والاستيلاء على جزيرة رودوس واخضاعها لسلطنة المماليك.(٣) فأخرج ثلاث حملات حربية بين عامى ١٤٤٠-١٤٤٤م لغزو جزيرة رودوس بدافع منع هجمات الصليبيين التى تخرج منه للاعتداء على سواحل السلطنة المملوكية ولكنها فشلت جميعا، الأمر الذى كان له عواقب وخيمة على القوات

(1)Berry, Histoire Chronologique du roi Charles vii, p. 430.

(2)Irwin,R.,islam and the crusades 1096-1699,in the oxford history of the crusades ,edited by Smith, J., R., Oxford, 1999, p. 249.

(٣) سامى سلطان: الاسبتارية فى رودوس ١٣١٠-١٥٢٢م ،كلية الآداب ،جامعة القاهرة، ١٩٧٥، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص ١٢١؛ نجلاء عبد النبى: مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية فى عصر المماليك، القاهرة ،دار عين للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م، ص١٠٣.

المملوكية حيث قتل ثلاثمائة جندي، بالاضافة الى خمسمائة جريح وتدمير ثلاث سفن بل وصل الأمر الى أن بعض الجنود لجأ الى جماعة فرسان الاسبتارية واعتنقوا المسيحية املاً في النجاة.(١)

وعلى الرغم من هزيمة المماليك الا أن جماعة فرسان الاسبتارية قد أنهكت قواهم أمام هذه الحملات الثلاث وعلى أثر ذلك قام حنا لاستيك **John Lastic** مقدم جماعة فرسان الاسبتارية بطلب المساعدات من ملوك الغرب الأوروبى ولم يجيبه أحد ، نظرا لانشغالهم بمشاكلهم الخاصة وأتبع ذلك بمخاطبة البابا ايوجين الرابع بالتدخل لإنهاء الصراع، فوقع اختياره على التاجر الفرنسى المقرب منه جاك كور وصلته التجارية بدولة المماليك فسافر الى الإسكندرية فى عام ١٤٤٦م بصحبة أحد مبعوثين فرسان الاسبتارية يدعى برنارد سالفيتي **Bernard Salaviti** ونجح فى عقد معاهدة صلح بين الطرفين ونصت على إنهاء العمليات العسكرية بين الطرفين و التعهد بعدم الاعتداء على السفن الإسلامية و الإفراج عن جنود الاسبتارية الذين وقعوا فى الأسر أثناء العمليات العسكرية. (٢)

ومما سبق نرى أن جاك كور قد وصل الى درجة من الحنكة والمهارة الى أن حاز ثقة البابا ايوجين الرابع الذى أوفده الى سلطان مصر من أجل انهاء الصراع بين

---

(١) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين، القاهرة، ١٩٩٠م،ج١، ص٩١-٩٢؛ مؤرخ مجهول: تاريخ الملك الأشرف قايتباى، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، بيروت،٢٠٠٣، ص ١٦٩-١٧١. راجع أيضا: محمد مصطفى زيادة: الأساطيل المصرية ومحاولة الاستيلاء على جزيرة رودوس فى عهد السلطان المملوكى جقمق ، بحث منشور ضمن كتاب دراسات فى التاريخ الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٠م، ص١٢٠.

(٢) محمد مصطفى زيادة: الأساطيل المصرية ومحاولة الاستيلاء على جزيرة رودوس،ص١٢١؛ سامى سلطان: الاسبتارية فى رودوس، ص ٤٢٥. راجع أيضا:

Irwin,. islam and the crusades 1096-1699,p.249.

المماليك واســـبتارية رودوس خوفا من أن يفكر المماليك فى الهجوم على مراكز العالم المسـيحى فى أوروبا خاصــة تكاسـل ملوك الغرب الاوروبى نتيجة لمشـاكلهم الداخلية وضعف الطوائف العسكرية الأمر الذى يؤكد نجاح جاك كور فى كافة المهام التى تسند اليه.

ثمة دور دبلوماسـى اخر قام به جاك كور عقب فشـل الملك شـارل السـابع في غزوة جنوة سعى إلى حل الانقسام والانشقاق الذي عانت منه الكنيسة الكاثوليكية طوال سبع سنوات مضت بسبب الصراع على الكرسى البابوى بين أميديه **Amédee** والبابا أوجين الرابع **Eugine IIII** وكالعادة ، وجد الملك شارل السابع ضالته في إسناد تلك المهمة إلى جاك كور؛ لكونه سـفيره المفضـل وعضـو في مجلسـه الاسـتشـاري ووزير ماليته، فأعد سـفارة في عام ١٤٤٧م ضـمت رئيس أسـاقفة ريمز وأحد الأسـاقفة وأحد علماء اللاهوت وكانت مهمة معبوثي الملك تقضـــى بالآتي اعتبار كل القضـــايا والمنازعات بين أميديه وأيوجين الرابع كأنها لم تكن وتعيين أوجين الرابع على الكرســي البابوي ويعين أميديه في أعلى مراتب البلاط البابوي بعد تنازله عن العرش البابوي، ووافق أميديه على الالتزام بتلك الشروط والتنازل عن التاج البابوي لغريمة أيوجين الرابع إلا أنه توفي وعين نيقولا الخامس خلفاً له وظهر النزاع ثانية.[١] فما كان من الملك الفرنسي أن شكل سفارة جديدة ترأسها جاك كور وضمت رئيس أساقفة ريمز ورئيس شماسة تور وأحد الأساقفة و في أبريل سنة ١٤٤٨م أبحر السفراء متجهين إلى البلاط البابوي في روما، ما عدا جاك كور وعالم اللاهوت. لحقا بهما في شـــهر يوليو حيث غادرا مرسيليا وبصحبتهما إحدى عشرة سفينة محملة بالإمدادات والمؤن. [٢]

(1)Grand,M., Histoire de Louis Xi, Paris, 1807, P.109.

(2)Hughes,PH.,a history of the church, London,1979,vol.3,p.335;Mckilliam,a chronicle of the popes,p.385.

عقب ذلك ، توجها جاك كور ورفيقه اللاهوتي وبصحبتهما ثلاثة سفن فقط، وتوجهوا إلى ميناء سيفيتا فيشا" [١] **Civitn – Vecchain** وفي روما ، تم استقبال السفراء في حفل يليق بهم إذ وجدوا في انتظارهم احتفالاً رسمياً فدخلوا روما إذا رتب لهم أكثر من ثلاثمائة من الجياد في حلل مزركشة تثير الإعجاب فانتاب السفراء فرحا بالغاً من هذا الحفل المهيب، وفى هذا الصدد يقول المؤرخ شارتيه "**إنه لا يوجد رجل على قيد الحياة رأى سفراء تم تبجيلهم وتكريمهم هكذا، ولم يسبق أن حدث فى مثل هذا الاحتفال والاحتفاء**". مما يدل على أن المملكة الفرنسية وملكها يحظيان بتبجيل فاق الخيال والواقع .

وكتب البابا نيقولا الخامس رسالة إلى الملك الفرنسي شارل السابع في ١٥ أغسطس يقول فيها أنه منذ ستين عاماً لم يشاهد سكان روما إطلاق سفارة كبيرة ضمت أناساً من أشهر فئات المجتمع كهذه". هذا وبعد مضى بضعة أيام من وصول جاك كور إلى روما مرض بالحمى عندما علم البابا نيقولا الخامس بمرضه هذا اهتم به اهتماماً بالغاً فأصدر أوامره في الحال بنقله إلى قصره وأوصى بالاهتمام بعلاجه ورعايته اهتماماً بالغاً.[٢]

وبعد حل تلك القطيعة العظمى التي ألمت بالكنيسة الكاثوليكية والتي كادت أن تمزقها إلى كنيستين متخاصمتين إلى الأبد في إعادة الوحدة إلى ربوعها يعد هذا نجاحاً لشارل السابع وفي الحقيقة نرى أن هذا النجاح صنعه السياسي جاك كور ويؤكد ما ذهبنا إليه أن في سفارته الثانية التي شكلها شارل السابع كان جاك كورهو الوحيد الذي شارك في تلك السفارة بينما المشاركون في السفارة الأولى تم تغيرهم بأشخاص غيرهم.

(1)histoire de Charles vii roi de France depuis 1422,Paris,1661,p.131.
(2)Juillet, Proces de Jacques Coeur, p. 708-709.CF. also: Cook,T.,old provence, Oxford, 2001, p. 402.

انحسار دور جاك كور وسوء عاقبته:

وبعد النجاحات التى حققها جاك كور فى كافة المجالات والمسئوليات التى أسندت اليه كان هذا النجاح وبالا جلب عليه الدمار والفناء حيث أن الثراء الفاحش الذي نعم به وآثار غيرة الآخرين ملأ الحقد قلوبهم تجاهه فانقلب عليه الملك شارل السابع بتحريض من مستشاريه ورجاله فأمر بالقبض عليه ووجهت اليه تهم عديدة ، وكانت البداية اتهامه بقتل السيدة أجنس سورل **Agnes Sorel** وهى احدى رعايا الملك شارل السابع وقد انبهر بجمالها وأحبها وكان على علاقة مشبوهة بها وبلغ انبهاره أن أطلق عليها لقب الانسة ملكة الجمال ولكى يكسب ودها ومحبتها خصص لها عشرين ألف وستمائة ايكو لشراء مجوهرات وكانت أولى هداياه قطعة من الماس أتقن صنعها فكانت اية من ايات الجمال.[١] ولكي تحصل على هذه الجواهر الثمينة لجأت إلى جاك كور فأصبحت أفضل زبائنه ؛ لكونه تاجراً على مستوى عالمي في تجارة الذهب والأحجار الكريمة وكان جاك كور آنذاك قد كرس في قصره ثروات جلبها من الشرق وحفظها في قصره كما أشترت أجنس أيضاً كميات كبيرة من الملابس الثمينة، وهكذا ارتبطت أجنس سورل بجاك كور نتيجة كثرة ترددها عليه إضافة إلى ثرائه الفاحش الذي فاق ثراء الملك المفلس شارل السابع هذا وقد حظى جاك كور بحمايتها، وبحظوتها عند الملك شارل السابع ورفعته إلى أعلى المناصب حين عينه شارل السابع مستشارا له بجانب توليه منصب وزير المالية. [٢]

(1)Godefroy, D., Histoire, de Charles vii,P.680.CF also: Pretou,P., les poisons de Jacques Coeur, pp, 222-223.

(2)Godefroy, D., Histoire, de Charles vii,P.682.CF.also: Duquesne, R., Agnes sorel, "La Dame de Beaute" Paris, 2014, p.77.

وكانت هذه العلاقة بين أجنس وجاك كور أحد أهم الأسـباب التي أدت إلى هلاكه إذ شاء أن انقلب عليه القدر وتوفيت المرأة التي أحبته وهي في الثامنة والعشرين من عمرها ، إلا أنه من الناحية الرسـمية يقال إنها توفت بحمى النفاس كان ذلك في التاسـع من فبراير سـنة ١٤٥٠ م ثم توفي إبنها بعدها ببضـعة أسـابيع ونتيجة وفاتها السـريعة، اعتقد البعض في أول الأمر أنها ماتت مسـمومة بمادة الزئبق، أما البعض الآخر فقد أرجع وفاتها نتيجة خطأ علاجي، إذ تم علاجها من داء الصفرى، بينما إثنان من المدنيين جاك كور وتوالت الشـكوك والشـبهات آنذاك حتى قيل إنها كانت بكامل صحتها.(١)

والجدير بالذكر إذا كان جاك كور قد اتهم بقتل أجناس عشـيقة الملك شـارل السابع فإن المؤرخ كلود دو سيسل أورد رواية أخرى مفادها أن الملك شارل السابع كان مغرماً بجمال أجناس وعلى علاقة غير شرعية بها وارتكب أعمال سيئة حين أقدم على تعذيب جاك كور ومصـادرة ممتلكاته، رغم أن جاك كور برجاحة عقله وحكمته وذكائه قد أسدى عديد من النصـائح إلى الملك شـارل السـابع وزوده بأموال طائلة من أجل أن تستعيد المملكة الفرنسية أراضيها من أعدائها وطردهم شد طرده ففاق غيره من الملوك، هذا وقد ارتاب الملك شـارل السـابع من سـطوع نجم جاك كور وخشـى أن يطيح بعرشـه لذا اتهمه بدس السـم لأجناس كما لفق له العديد من الاتهامات الأخرى ليبرر لنفسـه المعاملة القاسية التي عامل بها جاك كور.(٢)

وقد انحاز المؤرخ كلود دو سيل إلى جاك كور ووصفه بأفضل الصفات وأثبت أن الملك شـارل السـابع كان محباً للنسـاء ولم يفته ذكر بعض فضـائل جاك كور على

(1)Guillot, le process de Jacque Coeur, p.93;Guizot,F.,history of France,p.305.
(2)Seyssel, histoire du Roy loys douziesme, p.26.

الملك لكونه أقرضه أموالاً كثيرة فأصبح صاحب فضل عليه وسجل سبب التنكيل ومحاكمته ثلاثة أسباب الخوف من الإطاحة بعرشة واتهامه بدس السم لعشيقته وأخيراً تلفيق اتهامات أخرى ويتفق الباحث مع رؤية كلود دوسييل حيث أن جاك كور كان يتميز من الذكاء والحكمة والمكانة الكبيرة في المجتمع الفرنسي فمن الصعب عليه أن يضحى بكل هذا من أجل إمرأة وليست أي امرأة بل عشيقه الملك الفرنسي، ولكن الملك شارل يبدو أنه أحس بالغيرة والخوف من جاك كور فقرر التخلص منه.

وسعى الملك و بعض رجاله في البحث عن جرائم أخرى ينسبوها إليه فتم اتهامه من قبل بأنه سرب من المملكة كميات كبيرة من النقود الفرنسية إلى بلدان المشرق الإسلامي وهي من الممنوعات بأوامر ملكية وكانت الطامة الكبرى تصديره إلى سلطنة المماليك كل الممنوعات التي حرمتها الكنيسة وهددت ممارسيها بالحرمان الكنسي **Excommunication** مثل الحديد والأخشاب والرقيق ومما زاد الطين بلة أنه أوفد إلى المشرق الإسلامي خيرة صناع الأسلحة ليدربوا ويعلموا الصناع على تصنيعها في المشرق الإسلامي على الرغم من حصوله على موافقة البابا أيوجين الرابع ونيقولا الخامس على التصدير.[١] كما تم توجيه تهمة القدح فى الذات الملكية من قبل الملك شارل السابع الى جاك كور وكانت نتيجة ذلك القبض عليه وتكبيله بالأصفاد والحجز على أمواله وممتلكاته ووضعة تحت الحراسة المشددة فى أحد السجون.[٢]

---

(1)Chartier, histoire de Charles vii, p.281-282.

الحرمان الكنسى: عقوبة كنسية وتعنى الطرد من مجتمع الكنيسة فهى بمثابة استبعاد مادى ومعنوى، وتختلف درجاتها فتنقسم الى الحرمان الصغير، الحرمان الكبير، اللعنة .ولمزيد من التفاصيل انظر: عادل عبد الحافظ: الحرمان الكنسى فى العصور الوسطى حتى نهاية النصف الأول من القرن ١٣م، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد الخامس،يناير ١٩٩٩م، ص٤٢٥-٤٢٦.

(2)Chartier, histoire de Charles vii, p.281-282.

ونرى أن سبب تجاهل البابويين أيوجين الرابع ونيقولا الخامس عن فرض عقوبة الحرمان الكنسي على جاك كور، أنه كان يدفع إليهما العشور كتكافل وآنذاك كادت تنفجر خزائن غالبية البابوات من تلك الأموال الطائلة فيصرفون القليل للفقراء والمعوزين ويوؤل الباقى الى خزائنهم الشخصية. ويؤخذ على جاك كور أنه لم يأخذ الإذن من الملك شارل السابع بتصدير تلك السلع الاستراتيجية التي هي أهم أسباب قوة سلطة المماليك آنذاك على حساب المملكة الفرنسية ، ومما زاد الطين بلة، أنه أرسل مع الحديد والأخشاب والأسلحة خبراء فرنسيين ليعلموا المصريين تصنيعها، وبالتالي تزداد سلطنه المماليك قوة على حساب المملكة الفرنسية كذلك سلم أحد المماليك الفرنسيين كان قد هرب من الإسكندرية إلى فرنسا على متن إحدى سفنه ثم سلمه إلى مصر وكان قد اعتنق المسيحية فتم إعدامه. كما كان له تجاوزات مالية في اللانجدوك إذ تحصل على ضرائب باهظة مدعياً أنها بأوامر من الملك فأثار غضب شعبه وبالتالي أساء إليه. (١)

وفي٣١ يوليو ١٤٥١م عقد اجتماعا عاماً في قصر شيسى**Chissay** الواقع بالقرب من مدينة تور **Tour** في حضور جاك كور من اجل استجوابه فى الاتهامات المنسوبة إليه و أجاب على كافة الأسئلة ببساطة ودقة وحرص على تبرير تفنيد ما لفق له انتقاماً منه، وأكد أنه تفاني في خدمة الملك بكل أمانة وإخلاص وإتقان دون أن يرتكب خطأ على الإطلاق ، كما أنه لم يختلس دونيه واحد طوال مدة خدمته، وبعد دفاعه هذا لم يعترفوا بأقواله وتجاهلوا دفاعاته وكل ما يمكن أن يثبت الأعمال الجليلة التي قدمها لرفعة شأن المملكة الفرنسية والتي حاول أن يسردها دفاعاً عن نفسه وتأكيداً

(1)Godefroy, Histoire, de Charles vii, p.217.CF also: Vaissette, Histoire du Languedoc, p.3.

لإخلاصه للملك والوطن ولم يكتفوا بذلك بل عبأوا مائة وخمسية شاهداً ضده. [١] وأما أولاده فقد بذلوا قصارى جهدهم للدفاع عنه لكن جهودهم ذهبت سدى ، كذلك حال أسقف بواتييه **Poitiers** جاك جوفونال دي أورسان" **Jacques Jouvenal des ursine** [٢] في حين أن البابا نيقولا الخامس كتب رسالة إلى الملك شارل السابع يمدح فيها جاك كور وأوفد إليه أحد سفرائه للدفاع عنه إلا أن جهوده ذهبت سدي هو أيضاً ،ولقد طال أمد المحاكمة هذا بينما كان جاك كور المسكين السجين يتم اقتياده مكبلاً في الأصفاد من قلعة إلى أخرى حتى لا يعرف مكانه خوفاً من أن يلوذ بالفرار حاملاً تهمة معه وفي غضون ذلك ذاق شتى ألوان العذاب الذي لم يكن يحلم به، ولم يخطر له على بال بعد أن تحولت حياته من نعيم إلى جحيم، وساهم القدر في ازدياد ألامه حين علم أن زوجته ماسيه دو ليودوبار توفيت حزناً وكمداً في بورجيه.[٣] ونرى أن دفاع البابا نيقولا الخامس سببه تأثير جاك كور على أى شخص يحتك به فى تعاملاته، بل كان يحظى بامكانية فن كسب ود من يتعامل معه فجاذبية جاك كور فاقت الحدود لكونه تاجرا ودبلوماسياً بارعاً وبالتالي كان يحظى بالتقدير والاحترام، ولكن الضغينة التى ألمت به كانت أقوى من أى تدخل بشرى حتى لو كان البابا نفسه رأس الكنيسة الكاثوليكية.

وفي نهاية المطاف وبعد موافقة القضاة على قبول التهم الموجهه ضده أصدرت المحكمة في التاسع والعشرين من مايو عام ١٤٥٣م حكما بإدانة جاك كورعن

(1)The chronicles enguerrand de monstrelet, translated by, Johnes,T.,London,1840,p.200.

(2)Guillot, le process de Jacque Coeur, pp.54-55.

(3)Gaillard,G., histoire de la rivalité de la France et de L'angleterre,Blaise,1818,t, 4.pp115-116; Georges, B., Charles vii, Paris, 1985,P.276.

جرائم القدح في الذات الملكية ، إضـــافة إلى جرائم الاختلاس والابتزاز وحكم عليه بالاعدام ومصـــادرة ثروته ودفع غرامة قدرها ثلاثمائة ألف إيكو وســداد مائة ألف إيكو للخزانة المليكة ولكن تدخل الملك شــارل الســابع فيما يخص حكم الإعدام وتم تخفيفه ليصبح النفي خارج المملكة الفرنسية،وفيما يتعلق بدس السم لأجنس سوريال فقد صدر الحكم بإيقاف الدعوى ، وبالنســبة للدين المقدر بالثلث والذى يجب تحصــيله من كافة أمواله فقد تم تأجيل هذا الحكم بأوامر من الملك الفرنسي.(١) وبعد هذه المحاكمة استولى الملك شارل على مائة ألف أيكو كانت في حوزته وعين الفلورنسي أو توكستلان **otto castelan** وزير مالية بدلاً منه. (٢)

خاتمة جاك كور:

وفي أكتوبر 1454م، نجح جاك كور في الهروب من القلعة التي سجن فيها في بواتيه، وفي فبراير ١٤٥٥ م وصل إلى بوكير عند رهبان الفرنسيسكان بصحبة ابنه. ثم توجه بعد ذلك إلى بروفانس في جنوب فرنســا وأخيراً وصــل إلى روما حيث البابا نيقولا الخامس الذي حظى باحترامه البالغ وتقديره ، فسمح له بالإقامة في قصره ووضعه تحت الفحص الطبي ورعاية أفضل الأطباء حيث أن الحزن طغى على جاك كور حتى انتابه المرض بعد أن عانى الأمرين وتحولته حياته من نعيم إلى جحيم ويمكنا القول بأن البابا نيقولا الخامس قد أعاده إلى الحياة ثانية.(٣)

(1)Gilles, N., Les Chroniques et Annales de France jusq'au roi Charles Huietiesms Paris, 1573, p.385.

(2)Guillot, Le process de Jacque Coeur, p.28.

(3)Guizot, history of France,p.305;Thomas,A.,L'evasion et la Mort de Jaques Coeur,p.13.

هذا وقد أمضـــى جاك كور عام ١٤٥٥م في روما يجمع فيها بقايا ثروته التي أفلتت من أنياب ملك فرنسـا لكونها خارج فرنسـا ولبعد نظره لم يكدس ثروته في فرنسـا فعديد من سفنه التجارية قد أفلتت من مصـادرتها فاستفاد من مواردها التجارية كما كان حال وكلائه المخلصين لسيدهم في ضائقته في إيطاليا خاصة والمشرق الإسلامي عامة بالإضافة إلى أنه تلقى أرباحاً من أموال كان قد وضعها جانباً لاستثمارها هادفاً من ذلك مواجهة غدر الزمان فاستردها من وكلائه. (١)

ومما تقدم نرى أن جاك كور كان بعيد البصـــر يدرس جيداً كل خطوة وينظر بعينه الثاقبتين إلى الأمام لذا احتاط جيداً من غدر الأقدار التي ربما تكشـر عن أنيابها وتنقلب علية فعليه الصـــمود والمواجهة لذا خطط جيداً لتلك الظروف داكنة الســـواد وأكرهها على الابتســـامة له بترتيب أموال احتياطية لا محالة ونجح في تلك المواجهة الصعبة.

على أية حال، توفي البابا نيقولا الخامس ١٤٥٥ م وخلفه البابا كالكســـتس الثالث (١٤٥٥-١٤٥٨) **Calixtus III** الذي انتابه حزناً شديداً لسقوط القسطنطينية ١٤٥٣م على يد العثمانيين ، فحلم بإعادة مجد الإمبراطورية البيزنطية من جديد وحاول عبثاً حث ملوك أوروبا على المشاركة في حملة صلبية جديدة متناسياً أن زمن الحملات الصـــليبية قد ولي وأن الغرب الأوروبي قد تلقى درســـاً لن ينســـاه طوال تاريخه نتيجة للهزائم المتلاحقة التي منى بها على يد المسلمين. (٢)

---

(1)Clerco, Memoires, p.84.

(2)Mckilliam, a chronicle of the popes,p.386.

وعن الفتح الإسلامي للقسطنطينية انظر: نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثمانى ١٤٥٣م، ترجمة وتعليق حاتم الطحاوى ،القاهرة دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،٤٦-٤٧.

وبناءاً على ما تقدم لم يجد البابا كالكستس الثالث سوى الشخص موضع الثقة والذى ركب البحر ويملك أسطولا تجاريا حربيا ألا وهو جاك كور الذي تعرف عليه عن قرب عندما كان مقيماً في ضيافة البابا نيقولا الخامس ونشأ بينهما صداقة حميمة وعينه مستشارا له و أسند إليه قيادة الحملة الصليبية المرتقبة ضد الدولة العثمانية، وتولى البابا تدبير الموارد المالية اللازمة، وفي عام ١٤٥٦م أبحرت السفن الصليبية إلى رودوس وبعدها رست في جزيرة خيوس **Chois** وأثناء إقامته في تلك الجزيرة أصيب جاك كور بكره مدفع حديدية أثناء حصار خيوس مما أدى إلى وفاته، وهناك رواية ثانية مفادها أن مرض مشابهة للدوسنتاريا أتى عليه ونرى أن الافتراض الأول هو الأقرب إلى الصواب.[١] وفي ٢٥ نوفمبر ١٤٥٦ م توفي جاك كور ودفن في كنيسة كوردوللیه **Cordolliers** في جزيرة خيوس وطارده قدره التعيس حتى بعد مماته ودفنه إذ أقدم العثمانيون على تدمير الكنيسة التي دفن فيها وتسويتها بالأرض وبالتالي دفن مرتين الأولى تبجيلاً والثانية تدميراً وطحن الدمار جسده بعد مقتله وتلاشي مع تراب الأرض.[٢]

(1)Guizot, history of France,pp.306-307;Dress,The late medieval age of crisis, p.111.

(2)Bray,B.,Joan of arc and the times of Charles seventy king of France,London,2016, p.341.

الخاتمة

استخلصنا أن جاك كور احتل مكانة بالغة الأهمية في تاريخ فرنسا عامة والعصر الوسيط خاصة، إذ سطر أحداث بلاده خلال الربع الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي بأسطر تشع نوراً بعد أن كانت سحابة داكنة السواد تغطي سمائها وأراضيها نتيجة الهزائم المتلاحقة التي تعرضت خلال حرب المائة عام.

ويحسب له حبه لوطنه وسعيه للنهوض به ليعيد له المكانة الأولى في ربوع أوروبا فبفضل الأموال التي أقرضها للملك شارل السابع لإعداد جيش منتظم حسن التدريب إضافة إلى مشاركته بامواله الخاصة لتعبئة كتائب مسلحة لقتال الغزاة الإنجليز الذين احتلوا ثلثي المملكة الفرنسية ، وتمكن الملك الفرنسي من إحراز أهم الانتصارات ومستهلها حين استعاد مقاطعة نورمنديا فكان هذا الانتصار بداية مشجعة للغاية لتتوالى الانتصارات وتنهض المملكة الفرنسية من كبوتها، وتستيعد البقية الباقية من الأراضي الفرنسية بفضل ارتفاع معنويات المقاتلين الفرنسين وقد جنى الملك الفرنسي ثمار الانتصار حتى لقب بالملك الظافر.

هذا وقد استفاد الملك شارل من إمكانيات هذا الداهية خير استفادة في عديد من المواقع، رغم ضحالة تعليمه إذ كان خريج جامعة الحياة وهي أحسن الجامعات على الإطلاق تعلم فيها من والده التاجر الكثير والكثير ولثقته في قدراته عينه الملك الفرنسي وزيراً للمالية ، وبالفعل أصبح أحوال وطنه الذي ضحى من أجل رفع شأنه بالكثير وآنذاك قنن نظام الضرائب، وأصلح الأحوال الإدارية وبالتالي تدفقت على المملكة الأموال لمواصلة حرب استعادة الأراضي الفرنسية المغتصبة.

وخلصنا أيضاً إلى أن جاك كور درس بعمق أحوال بلاده المتردية ، وكيفية النهوض بها اقتصادياً فلاحظ بثاقب بصره وبصيرته أن التجارة ستدر عليه أموالاً

طائلة فخاض غمارها ، وبدأ بإصـــلاح الإعوجاج القائم على قيام البنادقة على وجه الخصـوص وغيرها باسـتيراد احتياجات المملكة الفرنسـية فحل محلهم بفضـل أسـطوله التجاري الحربي المكون من عشرين سفينة ، ثم توجه في رحلته إلى المشرق الإسلامي على وجه الخصـــوص فنجح في منافســـة الجمهوريات الإيطالية في هذا المجال إذ توثقت علاقته مع الســـلطان المملوكي جقمق فنشـــطت التجارة آنذاك بين ســـلطنة المماليك الجراكسة وفرنسا. وكان حريصاً على نشر وكلائه التجاريين سواء داخل فرنسا أو خارجها وكان وكلائه في الخارج وبعض السفن التجارية التي كانت خارج فرنسا خير سند له في أزمته بعد مصادرة أمواله وممتلكاته.

ولم يكتف هذا النابغة بالتجارة ، بل تفوق في مجال الصـــناعة والتعدين لإدراكه مدى أهمية هذه الســـلع الاســـتراتيجية التي تاجر فيها وأتت عليه في أواخر أيامه ، ولم تذكر المصادر تفاصيل عن أنشطته الزراعية التي بفضله شهدت تطوراً هائلاً ونهضة كبرى وأسـند إليه شـارل مهمة تأسـيس برلمان اللانجدوك ، كما كلفه بحل مشـكلة دينية استمرت سبع سنوات أدت إلى انشقاق الكنيسة الكاثوليكية ، فنجح في إعادة الوحدة إليها بل وخرج من هذه المشـكلات بتقدير بالغ ، وكان لأسـلوبه وشـخصـيته أن حظى بحب البابوات الثلاث الذي تعامل معهم حتى وصـــل الأمر أن حللوا له المحظورات إذ وافقوا على تصـدير السلع الاستراتيجية إلى المسلمين . فخلصـنا الى أن سـلاح المال كان له دوره فى الحصول على دعم البابوية حيث انهم استفادوا من ثرائه .

ثم دخلت المرأة بجمالها الســـاحر بين الملك ووزيره فكانت القشـــة التي قســـمت ظهر البعير إذ تم تلفيق تهمة قتلها بالســـم لجاك كور فكانت إحدى التهم الموجهة إليه عند محاكمته كحال تهمة بيع سلع استراتيجية إلى المماليك وغيرها من التهم الملفقة.

وخلصـــنا أيضـــا إلى أن جاك كور كان إدارياً ناجحاً للغاية ومما يؤكد ذلك أنه لكي يراقب ويتابع كافة المهام والعمليات والمسئوليات المكلف بها، أدرك بذكائه المعهود أن لا قدرة له القيام بكل تلك الأعباء التي ســـتشـــغل كاهله لذا بحث عن معاونين له ونجح في حســـن اختيار وكلائه التجاريين وممثليه ومندوبيه من مختلف البلدان والمدن التي له علاقة ومصـــالح فيها خاصـــة تلك التي تحط فيه ســـفنه التجارية مما يدل على براعته وذكائه فى اختيار رجاله .

مما تقدم نجح جاك كور في نقل مملكة فرنســـا من العصـــور الوســـطى إلى العصـــور الحديثة ، وتحولت آنذاك من دولة محتلة من إنجلترا إلى القوة العظمى آنذاك في ربوع أوروبا وجنى شارل السابع ثمار مجهودات هذا الداهية البارع والجامع لمواهب لا حصر لها .

قائمة الاختصارات

JMS: Journal of medieval studies.

RQH: Revue des questions historiques.

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر الاجنبية:

- **Pardessus,J.,M.,** tableau du commerce anterieurement a la découverte de l' amérique servant d'introduction a la collection des lois maritimes,Paris,1840.
- **Basin,T.,**The history of Charles vii and Louise xi 1412-1490,translated by Spencer, M.,London,1997.
- **Berry,J.,** Histoire Chronologique du roi Charles vii depuis 1423-1461, Paris, 1617.
- **Bertrandon du la broukir,**,Le voyage d' outremer, éd Schefer,CH.,dans Recueil de voyages et documents pour server a l' histoire de la géographie Paris,1829.
- **Bouvier,G.**,Manuale Petri Amari Clerici Regis,Paris,1617.
- **Chartier,J.,&Godefroy,D.**histoire de Charles vii roy de France,Paris,1661.
- **Chronicle of Froissart,** Translated by Bourchier,J., Berners, L., London, 1902.
- **Claude de Seyssel,** histoire dv Roy loys dovziesme, pere dv pevple,Paris,1567.
- **Gaguin,R.** recuile des champs historiques du quinzieme siècle, éd le Roux de lincy,Paris,1670.
- **Garrault,F.,**de mines d' argent trouvées en France ouvrage et police d' icelles,Paris,1579.
- **Gilles,N.,** Les Chroniques et Annales de France jusq'au roi Charles Huietiesms Paris, 1573.

- **Gobet,C**., les anciens minéralogistes du Royaume de France, Paris,1779.

- **Guilot,R.,** le Procés de Jacques Cour(1451-1457),Bourges,1974.

- **Jacque du Clercq,** mémoire de Jacques du Clercq,Paris,1570.

- **Matthieu de Coucy**, histoire de Charles vii,Paris,1675.

- **Mckilliam, M., A**., a chronicle of the popes from St. Peter to Pius, London, 1912.

- **Pastoret,M.,**Ordonnances des rois de France,Paris,1791,t. xiii.

- **Raynal, L.,** Histoire de Berry depuis les temps les plus anciens, Bourges, 1845, t.iii.

- **Recuile de documents** Relatifs a l'histoire des Monnaies frapèes par les roi de France, èd par F.D Saulcy,Paris,1879.

- **The chronicles enguerrand de monstrelet,**translated by, Johnes, T., London, 1840.

- **Thaumassiére, G.,T.,** Histoire de Berry,Paris,1689, t.i.

- **Vallet de Viriville,** Lettres de rémission en Faveur d'etienne de Manné qui avait donne avendre en Angleterre une piéce de fourrure, dépossée chez Jacques Coeur la quelle appartnu â Agnes Sorel, ed ,dans Bibliotheuqe de l'ecole de chartes, Paris,1850.

ثانيا المصادر العربية والمعربة:

ابن تغري بردي:

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي،تحقيق محمد أمين ،القاهرة،١٩٨٤م،ج٤

- حوادث الدهور فى مدى الأيام والشـــهور ، تحقيق محمد كمال الدين ،القاهرة ،١٩٩٠م،ج١

بدر الدين العيني:

سـيرة السـلطان الظاهر جقمق،نشـر وقد لها وعلق عليها محمد جمال الشـوربجي،نور حوران للدراسات والنشر،٢٠٢١م.

مؤرخ مجهول:

تاريخ الملك الأشرف قايتباى ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، بيروت ،٢٠٠٣.

نيقولو باربارو:

الفتح الاسـلامى للقسـطنطينية يوميات الحصـار العثمانى ١٤٥٣م ، ترجمة وتعليق حاتم الطحاوى،القاهرة دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية

ثالثا المراجع الأوربية:

- **Atiya, A.,** the aftermath of the crusades, edited by, Settone& Hazard, in history of the crusades,vol.3, university Wisconsin press1975.
- **Beaucourt,M.,** Dictionnaire encyclopédique visul, Paris,1999.
- **Behrens,D.,**Practising diplomacy in the mamluk sultanate,London,2014.
- **Black,B.,**France beyond the loire,Edinburgh,1885.
- **Bouillet**, dictionnaire universel d histoire et de geographie,Paris,1871.
- **Bray,B.,**Joan of arc and the times of Charles seventy king of France, London, 2016..
- **Burckhardt,C**.,Richelieu and his age :assertion of bower and cold war, university of Wisconsin,1970.
- **Cook,T.,**old provence,Oxford,2001.
- **Cunningham,W**., an essay on western civilization in its economic aspects medieval and modern times,Cambridage,2013.

- **dictionnaire Robert**, Paris, 1993.

- **Dress,C**.,The late medieval age of crisis and renewal 1300-1500.abiographical dictionary ,London,2001.

- **Duquesne,R**.,Agnes sorel, "La Dame de Beaute" Paris, 2014.

- **Duruy,V**.,history of France, translated by,Carey,Newyork,1889.

- **Favier, J.,**histoire de France, le temps des principautés de l' an mil a 1515, Paris, 1984.

- **Gaillard, G.,** histoire de la rivalité de la France et de L'angleterre, Blaise, 1818, t, 4.

- **Georges, B**., Charles vii, Paris,1985.

- **Green, D.,** the hundred years war a people s history,London,2014.

- **Guizot, M**., The history of France from the earliest times to the year 1789, translated by,Black,R.,London,11913,vol.2.

- **Hachette**, Le Dictions Aire de Notre temps, Paris, 1990.

- **Hughes,PH**.,a history of the church, London,1979,vol.3.

- **Knecht, R.,** The Valois Kings of France 1328-1589, London 2020.

- **Komornick, J**., contra signum nostrum :the symbolism of lése majesté under Philip vi Volois, edited by, Classen,A.,in crime and punishment in the middle ages and early modern age,Germany,2012.

- **Le Brun, Ch**., Dictionnaire illustre de L'histoire de France,Paris,1999.

- **Mallet, A., & Isaac,J**., L'histoire Rome et le moyen âge,753AV.J.C-1492, Paris, 1958.

- **Reyerson, K**., the transitional role of Jacque Coeur in fifteenth century,edited by **Bentey, J**.,in between the middle ages and modernity,Newyork,2007.

- **Snodgrass, M.,E.,** coins and currency an historical encyclopedia,North Carolina.2019.

- **Sumption, J.,** The hundred years war,London,2009,vol.3.

-**Vaissette,D.,&Devic,D.,** Histoire génerale du Languedoc,Toulouse, 1876, t.v.

- **Warner, M.,** Joan of arc, the image of female heroism, university of California press,2000.

- **Waugh, W.,** a history of Europe from 1378 to 1494, London,2016.

- **Yeatts, T.,** Joan of arc heavenly warrior,London,2009.

المراجع العربية والرسائل العلمية:

- **أسـامة حسـيب:** تاريخ إنجلترا وفرنسـا الدور الأول من حرب المائة عام ١٣٣٧-١٣٨٠م، المكتب العربى للمعارف،٢٠٠٧م .

- **أشرف عيسى:** حرب المائة عام بين انجلترا وفرنسا ١٣٣٧-١٤٥٣م ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ٢٠٠٦ م .

- **جمال الوكيل:** تطور اسـتراتيجية الحروب الصـليبية فى القرن الرابع عشـر الميلادي فى ضوء كتاب مارينو سانودو،القاهرة، ٢٠١٧م.

- **رشـيدة بسـرور:** مركز تجارى فى مصـر السـفلى: الاسـكندرية خلال العصـر المملوكى،تونس مركز النشر الجامعى،٢٠٠٧م.

- **ســـامى ســـلطان:** الاســـبتارية فى رودوس١٣١٠-١٥٢٢م ،كلية الآداب ،جامعة القاهرة،١٩٧٥،رسالة دكتوراه غير منشورة.
- **سعيد عاشور**: الحصار الاقتصادي على مصر زمن الحروب الصليبية،بحث منشور فى كتاب دراسات وبحوث فى تاريخ العصور الوسطى،بيروت ١٩٧٧م.
- **عادل عبد الحافظ:** الحرمان الكنسى فى العصور الوسطى حتى نهاية النصف الأول من القرن ١٣م، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد الخامس،يناير١٩٩٩م.
- **فاطمة الشـــناوى:** حملات الأمير الإنجليزي الأســـود على فرنســـا (١٣٤٦-١٣٥٦م)ونتائجها ، بحث منشـــور بمجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد ٧٤، يوليو ٢٠٠٨م.
- **محمد الدسوقى** :نبات البلسم فى مصروالشام عصر الحروب الصليبية(١٠٩٥-١٢٩١م) ، بحث منشـــور فى مجلة كلية الاداب ،جامعة دمنهور العدد ٤٢،يناير٢٠١٤م.
- **محمد الزامل:** الحصار الاقتصادى على مصر أواخر العصور الوسطى (١٢٩١-١٥١٧م)،المجلس الأعلى للثقافة،٢٠٠٩م .
- **محمد النشـــار** :علاقة مملكة قشـــتالة وأراجون بســـلطنة المماليك(٦٥٨-٧٤١هـ/١٢٦١-١٣٤١م)،القاهرة ،١٩٩٧م.
- **محمد مصطفى زيادة:** الأساطيل المصرية ومحاولة الاستيلاء على جزيرة رودوس فى عهد السلطان المملوكى جقمق ، بحث منشور ضمن كتاب دراسات فى التاريخ الإسلامي ،مكتبة الثقافة الدينية ،٢٠٠٠م.
- **نجلاء عبد النبى:** مصـــر والبندقية العلاقات الســـياســـية والاقتصـــادية فى عصـــر المماليك، القاهرة ،دار عين للنشر والتوزيع ،٢٠٠١م.

Abstract

The research deals with the subject of the study, the personality of Jacques Coeur, who lived through sweeping events in the history of his homeland, the Kingdom of France, which passed France went through a dark period because it was full of defeats, namely, the Hundred Years War (1337-1453), which resulted in the destruction of green and dry land, and the loss of many lives. Humans, and the entry of the French kingdom into severe economic and social crises, and during the last stage of the Hundred Years War, Jacques Coeur appeared on the scene who enjoyed multiple talents that helped move his country from the Middle Ages to modern times and restored its primacy to the European world again. Jacques Coeur was admired by many historians, as he supported the French King Charles Seventh financially and contributed to the financing of four military divisions at his own expense to recover the French lands seized by the British. Based on this, the researcher chose to study the economic and political role of Jacques Coeur.